

# تطور الشعر العربي

## واتجاهاته في حياتنا الجديدة

بقلم علي بدوي

عندما تعاني تجربة مصير الانسان ، ومأساة حياته ، وعذاب ضميره ، وقلقه وخوفه من تعاقب الجديدين ، بلغة شعرية يفهمها البشر على اختلاف لغاتهم ووسائل تعبيرهم . والشعر الحق ما كان ترجمانا لحياة العصر . فتسعرنا في العصر الجاهلي ، والاسلامي والعباسي ، وعصور الانحطاط ، كان مرآة للعصر ، من حيث صدق التعبير عن نوازع البيئة ، وشيوع الثقافة ، واتجاه المجتمع نحو التطور ، وفهم الجماعات آنذاك للقيم الفكرية والجمالية والتعبيرية والبلاغية . فمن شعر البساطة وتمثل الحياة في بطاح الحجاز ، الى شعر التساؤل في العصر الاسلامي الى شعر العقل في مدرسة ابي تمام ، الى شعر الصنعة في عصور الانحطاط ، كانت كل هذه الخطوات مرسومة بحكم واقع الحياة الفكرية ، وتطورها وامتزاج العرب بغيرهم من الامم والشعوب ، ومساهماتهم في الحضارة الانسانية .

واليوم ، والشعر العربي بعد ان استعاد ديباجته العربية على يد شوقي ، وصفاءه على يد الاخطل الصغير ، ومعانيه على يد ابي ريشة ، ورقته على يد شعراء المهجر ، اوشك ان يدخل منعطفا جديدا ، تفرضه طبيعة التطور لحياتنا العربية الجديدة ، ومحاولتنا خلق ثقافة عربية تسهم في الثقافة العالمية ويجاد شعر عربي ، لا يعبر عن حيواننا العربية الجديدة ، بقدر ما يبينها ولا ينفخ روح الحماسة في الاكف المصفقة بقدر ما يزودنا بالهدوء الذي نراه في عين الأعصار الثقيل .

فاذا تساءلنا عن هلامح هذا المنعطف الجديد لشعرنا العربي ليستطيع التعبير عن حياتنا العربية الجديدة وجدنا ان ثقافة العرب عندما امتزجت بثقافات الامم والشعوب الاخرى في الماضي ، قدمت للانسانية ابا العلاء المعري ، كشاعر عربي اصيل ، عبر عن قلق الانسان ومأساة البشرية من خلال تمثله الحق لتجربة الوجود التي عاشها بقلبه وفنه . واليوم ، والعرب ، على ابواب فجر جديد ، تتمثل فيه مطامحهم وامالهم ورغبتهم في التحرر من ربكة عصور الظلام ، وقحط العقول التي انطفت في دنياها شعلة الفكر المتوهجة ، تنظر طبيعتهم المثقفة الى الشعر نظرة خاصة . تلتقي عندها آمالهم في ان تكون الثقافة العربية ، معبرة عن الحياة العربية والتجربة العربية التي قدمت المعري ذات يوم ، ومستوحية خطى التطور الفكري ، والتحرر العقلي

الشعر في حياة الانسان ظاهرة قد لا نجد دليها العلمي في اللغة بقدر ما نجده في طبيعة الانسان وامتزاجه بالحياة من خلال الزمان والمكان . والشعر لدى الامم قديمها وحديثها انما هو وجدانها المعبر عن اعمق احساسها وعواطفها وافكارها في ملاحم البقاء ، وتبيان اغوار النفس الانسانية وما هي هذه الاغوار من حالات قد لا يصفها مجهر العالم المدقق ، بقدر ما يصفها خيال الشاعر المبدع .

والشعر قبل ان يكون ابجرا وعروضا وقوافي ، هو الهمام ومقدرة على ضبط عنان الفكر والقلب البشري ذي العواطف للتعبير عما يتجمع في عين الشاعر من مناظر وحوادث وخواطر واوصاف . فهو الموسيقى حيناً ، وهو الالهام حيناً اخر . . وهو اولا واخرا ، مقدرة على اتيان الخارف والغوص على الاعماق ، وجلو ما يعتري الانسان وحياته من خلال تجربته للعيش وخضوعه لسطوة المصير . ونظرة الى الحياة والكون واصطراع البشر فيهما ، نظرة تضيق كلما اتسعت ، وتعمق كلما تبسطت ، وتشف كلما بعد مجال رؤيتها ، فهي انسجام بين ما يراه الشاعر ويحسه قلبه البشري ، ويحاكمه منطق الانسان فيه ، فاذا المزيج افكار متناسقة ، ومشاعر مرسومة ، وحالة شعورية سامية تحيط باذرع رحيمة ، تلك الافكار والمشاعر ، في قصيدة شعرية ، هي في اللغة خلق ، وفي الفن دلالة على مجازاة الطبيعة في عملية الابداع الفطري ، فاذا تداول البشر هذه القصيدة باللغة التي يفهمونها ، ولدت فيهم حالة شعورية وعاطفية وفكرية . تدفعهم للتجرد من مظاهر تعارفوا عليها في حياتهم ، والتحلل من موروث الطعام والشراب ، للتخليق في عالم خاص ، يخلقه الشعر الجيد في النفس والفكر النيرين .

في هذا المفهوم للشعر والشاعر ، خطا الزمان خطواته الفسيحة ، فنقل الشعر العربي بعامة ، من مضارب انخيام في الصحراء الى حياة المدن المزدهمة بناسها ودخان معاملها وضجيج الاتها . وبعد ان كان الشاعر الفحل من كانت له حنجرة قوية لسمع الصحراء بوديانها وكتبانها ، اضحى الشاعر الحق من ملك وترا ناعما كوتر الحمامة الصادية ، يخاطب به الانفس المتعبة ، والقلوب المرهقة ، ويحرك الافكار التي اتعبتها العواطف ، والعواطف التي اتعبتها الافكار ، ليسمو بالفكر المثقف الى سوية تحليل النفس الانسانية وكشف مشاعرها وعواطفها وافكارها ،

الذي شهده بلاط المأمون ، ليكون من مخاض هذه الثقافة التي ينسج خيوطها المثقفون العرب ، ثوبا لمجتمعهم العربي العتيق ، شعر يعبر عن حياتنا الجديدة ، وحضارتنا الجديدة . اذا ما دام الشعر لا ينفصل عن الثقافة ، والثقافة لا تنفصل عن المجتمع وما دام المجتمع يبدع حياة جديدة بحكم واقع اتصاله بالحضارة الحديثة ، فان الشعر الذي تفرضه حياتنا الجديدة ، هو الشعر الذي لا يحفل كثيرا بالالفاظ الضخمة الفخمة ، وان لا يكون الهدير الذي فيه ، هدير نفس فارغة تهوى الضجيج ، وتحب اثاره الغبار ، وان لا يخاطب العواطف البدائية والمشاعر الباهتة ، والعقول الساذجة ، بقصد الاثارة والتهيج ، لان طبيعة المجتمع ، وطبيعة الثقافة المعبرة عن تطوره ، تريد شعرا عميقا فسي صفا ، جليلا في بساطة ، بعيدا ولكن في تناول العبين التي تلمس جماله ، والقلب الذي يستعذب صدق التعبير فيه ، فيخاطب الضمائر والعقول والانفس التي هذبتها ساعات التأمل في هذه الحياة ، ويزيد من وقدة الجمرة الملتهبة في القلب ، بحب الشعب والوطن والانسانية ، وينمي فينا حاسة تذوق الجمال ، ومحبة الفضيلة ، وتعشق الحرية ، ويفتح لعقولنا كوى على جنة الفكر ، ويبني لارواحنا محاريب لعبادة المثل العليا في الحياة . ولا يعقل ان ينجح شاعر من الشعراء بله شاعرة من الشاعرات في رصف طريق تطورنا بالشعر ، المبر عن حياتنا ، الا اذا كان الشاعر على درجة كبيرة من الوعي والفهم والتذوق ، والثقافة ، والنظرة البعيدة الى اعماق الانسان واحياة ،

ليستطيع ان يبدع من خلال تأمله وانصهاره في بوتقة الابداع ، شعرا تتمثل فيه نهضتنا الاجتماعية ، وثقافتنا القومية وحسنا الانساني ، وحياتنا وطامحننا وآماننا والامنا ، فنقدم للانسانية الجديدة المعاصرة ، شاعرنا المبدع ، كما قدمنا في تاريخنا القديم ابا العلاء ، اما ما على مبصري زمانه ومشعلا هاديا لمن ضلوا الطريق .

لقد جعلت الحياة الجديدة من النفس الانسانية ، نفسا معقدة قد لا تذيب جمودها قسيمة من الشعر ، لها موسيقاها ووزنها ، وانتظام طولها وعرضها . . ولكن ليس فيها تلك الروح الملتهبة التي تصهر الامنا لتجعل منها افراحا وصودا في وجه خطوب الحياة . والثقافة التي نمت في رؤوس المثقفين وقلوبهم ، اوضحت بحاجة الى شعر ، له توتره الخاص ، وحساسيته الخاصة ، وتركيزه للافكار والعواطف ، ليكون الطرب نابعا من صميم واقنا ومجتمعنا وحياتنا ، وان لا يكون همنا ان تصطلق الاجنحة فحسب ، دون ان نهتم بمقدرتها على التحليق في الفضاء .

ولعلها ظاهرة جديرة بالانتباه ، تلك التي تشير الى التزام هذا المنهج الشعري ، وفق ما اسموه بالشعر الحديث . يلتزم التوطيد له شاعرات وشعراء ، محاولين بذلك تجديد شعرنا العربي ، بتجديد طريقة التعبير نفسها واصطناع الابحر الشعرية التي تناسبها . هذه المدرسة الشعرية الحديثة - وسلمى الخضراء الجيوسي من روادها - لا تنظر الى الشكل التقليدي للشعر ، نظرة عدا كما يصور ذلك بعض انصار الشعر التقليدي ، بقدر ما تنظر الى طريقته التعبير نفسها ، تلك التي لا تتلاءم معها الى حد بعيد ، الابحر التقليدية المعروفة . لان الشكل في الاساس لا يقدم ولا يؤخر في عملية الخلق الفني للشعر الجيد اذا كانت معانيه على غرار المعاني التي اتى عليها شعرنا القديم . والسليقة العربية التي ابدعت وطرقت دروبا واشكالا للتعبير جديدة في الاندلس بحكم التطور ، لن تعجز اليوم بحكم داعي التطور ايضا ، عن اصطناع اساليب جديدة في الشكل والمضمون الشعريين . ذلك ان الموسيقى باقية ، اذ لا شعر بلا موسيقى . . . ولكن التوزيع الموسيقي هو الذي يتغير . واذا كانت الموسيقى في الشعر التقليدي قائمة على اساس من ملائمة الكلمات كالفاظ للعرض الشعري ، فان الموسيقى في شعر المدرسة الحديثة ، قائمة على اساس من ملائمة المعاني قبل الالفاظ للسلم الموسيقي . والنماذج الجيدة من شعر هذه المدرسة ، تثبت ذلك بعد دراستها ، لانها في الاساس تقوم على امتزاج التاليف الموسيقي ، باللغة ، كمعان اولاً . والفاظ ثانياً . . وليس العكس كما هو متبع في اكثر شعرنا التقليدي ، وفي اكثر النماذج الجيدة منه على التخصيص .

والنقاد القدامى واكثر النقاد المحدثين اذا كانوا قد درسوا الشعر العربي كله على اساس من فصل الشكل عن المضمون ، فقد آن الاوان لدراسة شعرنا العربي القديم والحديث معا على اساس من عدم الفصل بين الشكل



## مكتبة هاشم

شارع سوريا - بيروت

تلفون : ٢٦٠٧٩

\*\*\*

سليمان العيسى

« « «

ف.و. فرو

محمد سليم رشدان

علي ابو حيدر

ليسنك

علي ناصر الدين

احمد قاسم البوريني

اربعة اجزاء

وليم ليكيه

فلاديمير نابوكوف

رمال عطشى

مع الفجر

يقظة العالم الاسلامي ( ٢٠١ )

بطولات من تاريخنا

طريق فلسطين

المرس الماتسم

قضية المغرب

الامارات السبع

فتاة نابلس

راسبوتين

ضحكة في الظلام

مع جميع منشورات دار المعارف المصرية

والمضمون . لان الشكل في الفن - اي فن - مرتبط بالمضمون ، في القصة والمسرحية والرواية ، والموسيقى والرسم . . وحتى في الشعر . . والدين يفسلون الشكل عن المضمون اما يجردون العضية من جوهر وجودها ولا ينتهون الى شيء جدي .

وتقيينما لظاهره المدرسة الشعرية الحديثة ، نفردنا الى ان الشعراء الجدد باتروا بالثعبان الجديدة التي نمست في المجتمع العربي ، بعد امتزاجه بثقافات الامم المعاصرة . فلما فاضت نفوسهم بالحس الشعري وارادوا التعبير ، وجدوا ان الشكل القديم لا يسعفهم للتعبير عن احساسهم الجديد ، الذي هو من نتاج الحياة الجديدة . فحاولوا الاستعادة من الابحر القديمة لتوليد ابحر شعريه جديد منها ، تتلاءم مع المعاني الجديدة والافكار الجديدة . واولوا افرغنا المعاني التي عبر عنها الشعراء الجدد بأشكالهم الجديدة في القوالب القديمة لفاضت . وكذلك لو حاولنا ان نعمل المعاني التي حوتها القوالب القديمة الى الاساليب الجديدة لما بقي منها شيء . والذات العرييه لا يضرها ان تجرب السعر الحديث وان تمنحه الفرصة كي يثبت جدارته بصدق التعبير عنها ، وبخاصة اذا كان بعض من هذا الشعر الحديث ، تعبيرا عن واقع الثقافة التي تمت في رحاب المجتمع العربي ، ومحاولة مخلصه لوضع الانسان العربي على حدود واجبه الذي فرضته الحياة العربية عليه .

فاذا درسنا شعر الشاعرة السيدة سلمى الخضراء الجيوسي ، حسب مفهومنا للشعر والشاعر ، وتطور الشعر العربي وانطافه الجديد ، ومتطلبات الحياة العربية الجديدة والثقافة الجديدة ، وامتزاج ثقافتنا بثقافات الامم والشعوب المعاصرة ، وحاجة الذات العربية ، لشعر يعبر عن انتفاضتها ويبنى اسس نهضتها الفكرية ، وحسها الوجداني والجمالي ، فان القصائد التي نشرتها انتساعرة في مختلف المجلات العربية وجمعتها في ديوان « العودة من النبع الحالم » تعطي الدليل على انها شاعرة انشيق شعرها من خضم حياتنا الصاعدة ، التزمت فيه صدق التعبيرات عما يخالج ضمير امته العربية من الام وامل . وهي اذا كانت قد جدت في الشكل والمضمون الشعريين . الا ان شعرها ظل يصدح بملاحم العروبة وتجارب امته العربية وسط بحران الحياة المعاصرة ومحاولتها التزود بكل جديد ومفيد دون ان تفقد اصالتها او تمحي شخصيتها . وهي واحدة من شاعرات العرب التي ولدت وعاشت في مهد النكبة القومية بفلسطين ، ثم جالت في ديار العروبة والعالم الخارجي ، واستقر بها المطاف اخيرا في دمشق ، ترنو الى الثرى المقدس فتصدح وتنشد : معبرة بشعرها عن حياتها وحياة الملايين من امة العرب من اجل غد حافل بالرفعة والسمو ، لادبنا العربي وحياتنا العربية وهجسد العروبة الظاهرة .

علي بنور

حمص

هذا الكتاب

فانيزي

عصا رعم وعرضا

نشر: المكتبة التجارية  
توزيع: الشركة العربية للتوزيع

هو أطرف إنتاج أدبي  
نستقبل به عامنا الجديد

ثمن ١٥٠ ق.ل